التذوق الفنى
فى الشرق والغرب
للأستاذ محمد السيد المويلحى

أحسب أننا مهما تغالينا فى التجنى على الغرب باتهامه بالإباحية ، وبالاندفاع وراء شهواته اندفاعاً لا يعرف حياء ، ولا يقيم وزناً لما اصطلحت عليه الأخلاق من قيود وحدود ، فلن نستطيع أن نقول إن هذا هو الواقع ، وإننا نصور حالة صادقة لما هو عليه من عادات ، ولما هو فيه من حرية تضفاضة سعى إليها سعياً متواصلاً حتى نالها . . . .

صحيح أن عاداته تختلف عن عاداتنا ، ونظرته إلى الحياة وإلى الأخلاق تتغير عن نظرتنا إليها ، ولكن ليس بصحيح أنه أكثر منا اندفاعاً وحباً لشهواته ونزواته . لأنه — على الأقل — يمتاز منا بأنه ينظم وقته تنظيماً دقيقاً : فيعطى لوطنه ، ولبيته ، ولعمله ما لا يعطيه لقلبه وملاهيه . ثم هو لا يعرف أبداً التسكع والخمول الذى يحملنا حملاً على أن يجلس الواحد منا طول يومه أو طول ليله على قهوة لا لعمل شىء يعود عليه بفائدة ، بل للنظر إلى المجهول أو للعب النرد أو للتفرج على حركة المرور . . . !

* * *

بل هو يمتاز منا بأكثر من هذا : يمتاز بتذوق فنى رفيع لا تدخل الشهوة فيه أبداً . فهو حينما يسمع يسمع بأذنه فقط لا بقلبه ولا بعينه ولا (بجسمه) كما هو الواقع عندنا !

لا يحكم على مطربة من مطرباته بأنها حلوة العينين ، دقيقة الشفتين مستقيمة الساقين ، ممتلئة الجسم ، رشيقة الاسم . . . الخ . بل يحكم عليها بأنها : قوية الصوت . لامعة النبرة . متمكنة من فنها ، واسعة فى ثقافتها ، مجتهدة فى عملها ، لا تعتمد فى معيشتها وحياتها إلا على صوتها ، لا تعنمها دمامتها من احتلال المكانة التى يؤهلها لها صوتها ، ولو كانت فى الدروة !

ثم لا تستطيع مطربة هناك أن تثبت إلا (بفنها) فحسب مهما بلغ جمالها وحسنها ، ومهما نضج جسمها واكتمل سحرها ، ومهما سالت واستسلمت ، وصادقت عظماء وطنها وحكامه فلن تكون أكثر من جميلة ساحرة ذات جسم ! أما أن تُفرض على شعبها كمطربة ، فهذا هو المستحيل الذى لن يكون ولن يعترف به الشعب ولو تبدلت الأرض غير الأرض

ثم إن بناته ونساءه لا يحكمن على مطرب من مطربيهن بأنه صغير السن ، جميل الشكل ، أنيق ، رشيق ، بل يحكمن عليه بقدر ما يتمتع به من قوة الصوت وسلامته ، وجمال الإلقاء ، والقدرة على التوزيع والتنويع ، والتوفيق فى إلباس الكلمات والمعانى (الموسيقى) التى تلائمها وتترجمها وتبرزها فى إطارها المضبوط الذى تجرى السلامة فى أعطافه ، ويشيع السحر منه !

ثم إن العواطف الشخصية والإعجاب بالكتفين العريضتين ، وبالذراعين المفتولتين ، وبالقوام السمهرى ، وبالوجه الصبوح ؛ كل هذا لا يجعل من الرجل عندهن مطرباً ، فإذا تمتع بعد هذا بمال أو بتقدير ، فإن هذا لا يكون إلا بشكل فردى شخصى لا يغرم فيه الشعب مليماً واحداً . . . !

لقد كان (بيتهوفن) رجلاً أصم ، و (فجنر) شخصاً دميماً . (وموزارت) مهملاً فى زيه . فهل منع هذا عنهم التقدير والخلود ؟ وهل وقفت عاهاتهم أمام فنهم القوى لتسد عليهم إعجاب الشعب بعملهم . . . ؟ ؟

(وآل جولسون) الأصلع ، (ومستنجيت) العجوز الشمطاء ، (وبول روبسون) الزنجى ، هل ظلموا فى هذا العصر ، ولم

يُقدّروا لأنهم حرموا ما يبعث الحية في الأجسام عند الغربيين ؟

أى شرق أو مصرى بنوع خاص يشجع فناناً شرقياً أو مصرياً ذا عاهة ؟ ؟ وأى مصرى الآن يقبل على سماع مطربة (كفيفة) بقدر ما يقبل على سماع المبصرة ، ولو كانت الأولى أقوى صوتاً ، وأتقن صنعة ، وأعظم أداء ؟

قد يقال إن المصريين قبل نصف قرن كانوا يزرون الغربيين في هـذا فكانوا لا يهتمون إلا بالفن وبالصوت بدليل أنهم رفعوا (عبده الحامولى) وزوجه (الماس) إلى ذروة التقدير والشهرة مع أنهما كانا من أشد الناس دمامة وقبحاً . . . وقد يقال إن العرب أنفسهم كانوا من أشد الناس تقديراً للفن وحده بدليل أنهم أفسحوا مكاناً محموداً (لابن سريج) الذى بلغ من قبحه ودمامته أنه كان يطرح على رأسه ووجهه غطاء حين الغناء ... حتى لا يفسده بشكله ...

وهذا صحيح لا مرية فيه ، وهذا ما امتاز به العربى عن الغربى من قرون إبان أن كان الموسيقار العربى يعيش معززاً مكرماً والموسيقار الغربى ممتهناً يعيش كما يعيش المنبوذ المحروم من أبسط مظاهر الحياة وهى نعمة التمتع بالإنسانية وبالوجود . إبان أن كان يقتل كما يقتل الكلب فلا يكون جزاء قاتله إلا ضرب (ظله) بالسيف ... !

قد يقال هذا وأكثر منه ولكن بحث اليوم ومقارنة الساعة لا تنسحب على الماضى وإلا كان هذا أدعى إلى تعنيفنا إذ كيف يستسيغ الإنسان هذا التطور الأخلاقى السريع الذى لا يسير إلا منحدراً ... ؟؟

لقد كان آباؤنا وأجدادنا من خمسين سنة أسلم منا حكماً وأعدل تقديراً ، وأضبط عاطفة ، وأسمى غرضاً

كانوا لا يعيشون لشهواتهم وجسومهم كما نعيش نحن الآن مع أنهم لو فعلوا ما استطاع اللوم أن يصل إليهم فقد كانوا أوفر منا مالاً وأقل انشغالاً بتهيئة وسائل المعيشة . وكانوا أقرب إلى (الفطرة) منا إليها ، وكانت جميع المحرمات والممنوعات التى تستلب الإحساس وتمنع التقدير السليم موفورة لديهم، ومع ذلك كله استطاعوا أن يقدروا الفن ويتساووا مع الغرب الآن ... أى أنهم كانوا يعيشون من نصف قرن كما يعيش الغرب الآن من حيث تفكيره وتقديره الموسيقى ... !

قد يكون للاحتلال نصيب ، وقد يكون للانحلال الأخلاقى الذى يتغلغل فى عظمنا ونفوسنا نصيب ، وقد يكون لتلك النفوس التى طبعت بطابع الذلة بعد الحرب وبعد الثورة المصرية نصيب

تلك النفوس التى استساغت هذا اللون المسترخى وهـذا التخنث الذى يطفح من كل أغنية ، ثم تدرجت بعد هذا إلى السيطرة على بقية النفوس حتى أصبحنا ونحن على هذا الحال البغيض

فالجمهور لا يشجع إلا الجميلة من المطربات أو الظريفة منهن أو كثيرة الأصدقاء ...

هبط معيار التقدير حتى أصبح منحصراً فى الجسم وفى كل ما يرضى الجسم . أما الروح . أما الفن بصرف النظر عن كل شىء فلا ... !

ولهذا أصبح جونا الموسيقى جو جسم بحت ، وأصبحت تربته لا تنبت ولا تصور إلا الشهوة . أما الصوت ، أما الفن ، فهذه أشياء تافهة فى عرف الذوق الشرقى عامة والذوق المصرى خاصة !

محمد السيد المويلحى

كان ذلك أمنية بعيدة المنال...

أما الآن بعدما نجح العلم الحديث فى اكتشاف أسرار هرمونات الجسم وقدم لنا علاج الحب باسم لولوتيطين فقد صار فى مقدورك أن تستعيد قوة شبابك المفقودة باستعمال هذا المستحضر . إن لولوتيطين يعمل تحت رقابة مستمرة من معهد التناسليات الشهير بمدينة برلين . ولكى تقف على حقائق المسائل الجنسية يجب أن تطالع كتاب "الحياة الجديدة" الذى يمكنك الحصول عليه نظير ٥ للنسخة الفرنسية أو الإنجليزية المحلاة بصور ذات خمسة ألوان أو ٣ للنسخة العربية . أرسل المبلغ طوابع بريد إلى :

جلانهورمين - صندوق بوستة ٢١٠٥ بمصر

ارفضوا كل علبة غير مكتوب عليها : تعبئة خاصة للشرق جرعة قوية